الوعـي القومـي بقضيـة فلسطين وحدود العلاقة بين الوطنية والقومية

د. احمد ثابت

تمثّل القضية الفلسطينية أحد أهمّ المحاور الجوهرية للقضية العربية، سواء على صعيد الفكر، أو السياسات، أو الحركات الجماهيرية والاحزاب والجماعات السياسية المختلفة. ولا تزال هذه القضية، ومنذ ما يزيد على قرن من الزمن، تجسّد همّاً عربياً عامّاً، وتفرض نفسها في مقدم أسئلة كبرى لا تزال تواجه العمل العربي، على مختلف مستوياته واتجاهاته، وعبر تطور السياسات العربية، وطنياً وقومياً واقليمياً ودولياً، وخلال الفترات التاريخية من التحوّلات الكبرى التي مرّت بها الأمة العربية.

ومثلما كانت قضية فلسطين أحد أسئلة وهموم النهضة والانبعاث القومي العربي منذ أواخر القرن الماضي، فقد مثّلت «مشتركاً» قومياً في معارك الاستقلال والتحرر، في مواجهة الوجود الصهيوني في فلسطين، والاستعمار الاوروبي المباشر. وابّان المدّ القومي الوحدوي، منذ منتصف الخمسينات وطوال الستينات، عبّرت عن أحد عوامل التقارب، والتضامن، والوحدة؛ اذ تفاعلت، بجدلية واضحة، في خضم حركة الصراع الكبرى في تلك الفترة، بين توجهات وأنظمة التحرر والتقدم والوحدة، من جهة، وتلك التي تعمّق الاقليمية والتجزئة، من جهة أخرى. واخيراً، لقد كانت في صلب أحداث فترة الانحسار القومي والضعف العربي العام ومناخ التسويات المنفردة، وتأثرت، تأثراً عميقاً، بهذه الأوضاع. ومع اندلاع الانتفاضة الشعبية البطولية في الارض المحتلة، وظهور بوادر وارهاصات لاعادة رأب الصدع، أو ايقاف التدهور في النظام العربي العام، تعود قضية فلسطين لتشكّل صلب الأحداث والتفاعلات العربية، الرسمية والشعبية.

السؤال الهامّ، هنا: أين موقع قضية فلسطين ضمن معطيات وعوامل تعزيز الوعي القومي والتوجّه الوحدوي؟ وكيف تسهم بدورها في ذلك؟

على الرغم من ان هذا السؤال قديم، ومثار منذ سنوات طويلة، حتى أصبح في عداد القضايا التقليدية في الفكر السياسي العربي، والفلسطيني، الّا أن متغيرات جديدة وافاقاً مستحدثة فرضت ذاتها بقوة على الساحة العربية، وأزالت الطابع «الرتيب»، والتقليدي، الذي كانت تثار في اطاره. ولعل من أهم هذه المتغيرات والآفاق الجديدة: قضايا الديمقراطية والتعدّدية السياسية والفكرية، والمبادرات الشعبية غير الرسمية، من أحزاب وحركات وجماعات وروابط ومنظمات جماهيرية، والانتفاضة الفلسطينية، وكيف مارست تأثيراتها في التوجهات الفكرية والسياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية تجاه البعد القومي للقضية.

وتضفي التغيرات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، العاصفة، التي طرأت